جمهورية مصر العربية	**١٢ من رجب ١٤٣٩هـ**
وزارة الأوقاف	**٣٠ من مارس ٢٠١٨م**

(١)

الأمـــل

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا*إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد:

فإن مما تميزت به الشريعة الإسلامية دعوتها إلى المثل والقيم والأخلاق ؛ ولذا فقد حثت أتباعها على التحلي بمكارم الأخلاق ، وعظيم القيم ، ونبيل المثل ، ومن القيم العظيمة التي حثت الشريعة على التحلي بها ، قيمة الأمل.

فالأمل هو شعاع النور الذي يبدد ظلام اليأس في القلوب ، وهو القوة الدافعة للإنسان في تلك الحياة ، يبعث فيه العزيمة والقوة والنشاط ، ويشرح صدره للعمل والعطاء والاجتهاد ، ويخلق فيه الصبر والجِدّ والكفاح والمثابرة ، فلولا الأمل ما ذاكر طالب ولا اجتهد ، ولولا الأمل ما زرع زارع ولا حصد ، ولولا الأمل ما فكر والد في إنجاب ولد ، ولولا الأمل في الجنة ما افتدى الشهداء أوطانهم بأرواحهم ، ولولا الأمل في الربح ما تعرض التجار للمخاطر والأهوال ،...وهكذا .

ومن هنا نقول: إن الأمل والإيمان قرينان متلازمان لا ينفكان ، فالمؤمنون هم أوسع الناس أملًا في الله (عزّ وجل) ، وأكثرهم تفاؤلًا واستبشارًا وأبعدهم عن اليأس والتشاؤم ، يثقون في الله (عزّ وجلّ) ، ويحسنون الظن به ، ولم لا ؟ والله (عز وجل) يقول في الحديث القدسي : (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي) ، فمن كان مع الله كان الله معه ، فالمؤمنون إذا مرضوا لم ينقطع أملهم في الشفاء ، وإذا وقعوا

في خطأ لم ييأسوا من رحمة الله وعفوه ، وإذا كانوا في ضيق وهم وغم وثقوا أن مع العسر يسرًا ، وإذا أصابتهم مصيبة صبروا أملًا في الأجر والثواب وثقة في وعد الله لهم بالخلف بالخير.

ومن يتدبر القرآن الكريم يجده مليئًا بالآيات التي تدعو إلى الأمل والتفاؤل ، فهذا نبي الله نوح (عليه السلام) يتحلى بالأمل مع علو الهمة في دعوته لقومه طمعًا في إيمانهم ، فيلبث فيهم داعيًا إلى الله (عز وجل) ألف سنة إلا خمسين عامًا لا يكلّ ولا يملّ ، ولا يقنط ولا ييأس ، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا } .

وفي قصة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) نرى الأمل يتدفق تدفقًا واضحًا ، في تحقيق رجاء شيخ كبير قد بلغ من الكبر عتيًّا ، وزوجه العجوز التي تخطت سن الإنجاب ، حيث يقول الحق سبحانه على لسان إبراهيم (عليه السلام):{أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ*قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ*قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ}.

وهذا نبي الله يعقوب (عليه السلام) ، لا يزال الأمل يملأ قلبه بعودة يوسف (عليه السلام) مع طول غيابه الذي امتد لقرابة أربعين سنة –كما يقول المفسرون– ، ثم ازداد ألمه وحزنه بفقد ابنه الثاني (بنيامين) ، ومع ذلك لم يفقد روح الأمل في عودتهما ، بل وقدم الأمر بالبحث عن يوسف (عليه السلام) على الأمر بالبحث عن أخيه ، وإن كان (بنيامين) أقربهما غيابًا ، فيقول كما قصَّ القرآن الكريم على لسانه: {يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ

رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} ، ثم تأتي البشارة بتحقق أمله فيقول: {إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ*قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ*فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}.

وهذا نبي الله زكريا (عليه السلام) على الرغم من كبره ، ووهن عظمه ، وطعن امرأته في السن يسبق أمله ألمه ، ويغلب رجاؤه سنين عمره ، ولا يفقد الأمل في أن يرزقه الله (عزّ وجلّ) بالذرية التي تحمل ميراث النبوة من بعده ، يقول الحق سبحانه على لسان زكريا (عليه السلام): {رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا*وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا*يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا}.

ومن عظيم توجيهات القرآن الكريم إلى ضرورة استحضار الأمل في كل الأحوال أن **فتح باب التوبة للعصاة والمذنبين** ، قال الله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}، وفي الحديث القدسي: (يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللهَ (عَزَّ وَجَلَّ) يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) ، فلا ييأس مذنب من عفو الله.

ومنها : **فتحُ باب الأمل للمرضى** ، ولهم سلوى في قصة سيدنا أيوب (عليه السلام) كما حكى عنه القرآن الكريم: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ*فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ} ، ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً) ، فلا ييأس مريض من الشفاء مهما كان داؤه عضالًا ، ولا ييأس عقيم من عدم الإنجاب ، فعليهما الأخذ بأسباب التداوي مع التعلق بحبل الأمل في الله .

وكذلك: **فتحُ باب الأمل لكل من كان في ضيق وكرب** ، فهذا نبي الله يونس (عليه السلام) سجينٌ في ظلمات ثلاث ، ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت ، ومع ذلك يتمسك بالأمل ويأوي إلى الركن الشديد ، قال تعالى : {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ} ، ولقد بث القرآن الكريم روح الأمل في قلوبنا ، وفتح لنا باب الرجاء بأن جعلها قاعدة عامة وليست خاصة بنبي الله يونس (عليه السلام) حيث قال سبحانه : {وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} .

ولقد اتسمت دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) بالأمل والتفاؤل ، فكان ديدنه (صلى الله عليه وسلم) بث روح الأمل في قلوب أصحابه بمستقبل مشرق ، وغدٍ باهر لا يعرف شيئًا من اليأس أو الإحباط ؛ لأن الإنسان يميل بطبعه إلى كل ما يبث في قلبه روح البشرى ، والأمل ، والرجاء في تحقيق مطلوبه ، فكان (صلى الله عليه وسلم) يحب الفأل ، ويكره التشاؤم ، ففي الحديث الشريف أنه (صلى الله عليه وسلم) قال : (...وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ ، الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ) ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول : (بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا) .

وعن أبي ذرّ (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ). قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟. قَالَ: (وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ). قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟. قَالَ: (وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ) قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟. قَالَ: (وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ) .

وفي الحديث الشريف عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال له: يا معاذ ، فقال: لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال: (لَا يَشْهَدُ عَبْدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ يَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ) ، قلت: أفلا أحدث الناس؟. قال: (لَا، إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلُوا عَلَيْهِ).

وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد حثت أتباعها على التحلي بقيمة الأمل والتفاؤل فإنها في نفس الوقت قد حذرت من اليأس والتأييس والإحباط والتحبيط ، حتى إن أهل العلم قد عدّوا ذلك كله من الكبائر ، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) : أن رجلًا سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) قائلًا: يا رسول الله ما الكبائر؟. فقال (صلى الله عليه وسلم): (الشِّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالإِيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) ، هكذا قرن النبي (صلى الله عليه وسلم) بين الشرك وبين اليأس والتأييس من رحمة الله (عزّ وجلّ) مبالغة في التحذير والتنفير منه ؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يحيا بلا أمل ، فحياة بلا أمل حياة جافة ، عابسة ، فلا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين:

إخوة الإسلام:

ونحن نتحدث عن الأمل يجب أن نفرق بين الأمل الصادق والخيالات والأوهام، فالأمل الصادق هو الأمل المقرون بالعمل والأخذ بأسباب الرفعة والتقدم والنماء ، أما الخيالات والأوهام فلا تقوم إلا على الأماني المجردة ، وأحلام اليقظة ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُم عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا ، وَتَرُوحُ بِطَانًا) ، فقد ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) الطير تغدو وتروح ، ولم يذكرها ساكنة ثابتة في مكانها والرزق يأتيها حيث هي ، وهو بذلك يلمح إلى أخذها بأسباب الرزق في غدوها ورواحها ، وقد كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول: (لَا يَقْعُدَن أَحَدُكُمْ عَنْ طَلَبِ الرِّزْقِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ السَّمَاءَ لَا تُمْطِرُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً).

ومن رحمة الله (عزّ وجلّ) بنا أنه يحاسبنا على أخذنا بالأسباب من عدمه ، أما النتائج فمردها إليه (سبحانه) ، فإن أحسنّا الأخذ بالأسباب وأحسنّا التوكل على الله (عزّ وجلّ) فتح لنا أبواب الأمل في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : {وَمَنْ يَتّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} ، وقال سبحانه : {وَمَنْ يَتّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} ، ولله درّ القائل:

ألم تر أنَّ الله قال لمريم
وهزي إليك الجذع تساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها
جنته ولكن كل شيء له سبب

ونؤكد أننا سنجني حتمًا ثمرة هذا الأمل الصادق ، وأننا في طريقنا إلى انطلاقة قوية نحو مستقبل مشرق بإذن الله تعالى ، غير أن هذا الأمل يحتاج إلى مزيد من العمل ، ومزيد من الإتقان ، ومزيد من الإخلاص ، وأن يكون الأخذ بالأسباب مع حسن التوكل على الله (عز وجل) زادنا الرئيسي نحو المستقبل .

فما بال هؤلاء اليائسين المثبطين المحبطين لا يرون باب الأمل الواسع الذي فتحه الله لعباده ؛ وكأنهم لم يقفوا على سعة رحمة الله ، وما فتحه الله (عز وجل) لعباده من أبواب الأمل في الدنيا والآخرة ، حيث يقول سبحانه:{مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ، ويقول سبحانه : {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.

فاللهم اجعل مصرنا أمنًا أمانًا ، سخاء رخاء وسائر بلاد العالمين ، وسلمها من كيد الكائدين ، ومكر الماكرين